كلمة آليكس راول
غار لقمان ٢٠٢٥

شـكرًا (مكرم/رشـا)، مسـاء الخيـر، أريـد أن أشـكر أولًا السـيِّدَتَين العظيمتَيـن رَشـا وسَـلمى اللتيـن مِـن أربـع سـنين استقبلوني بـكل كَـرَم بِبَيتُـن الحلـو أنـا وعـم بشـتغل عالكتـاب هيـدا، اسـتقبلوني بقنينـة نْبِيـد، ع فكـرة، قنينـة مفتوحة، أي نعـم، وَفقًـا لأصـول الضيافـة الصحيحـة، اسـتقبلوني وزوّدونـي بالمعلومـات والشَـهادات بخصـوص لُقمـان وجمـال عبـد الناصـر، وذكريـات سـلمى الشـخصية عـن مصـر عبـد الناصـر ومصـر مـا قبـل عبـد الناصـر، وبيـروت الخمسـينيات والسـتينيات مـن القـرن الماضـي، وأحاديـث جميلـة أخـرى كثيـرة، كمـا زوّدونـي أيضًـا، بعـد المزيـد مـن الخمـر، صـاروا يعطونـي كُتُـب، كُتُـب مهمـة كتيـر مـن المكتبـة الغنيّـة عنـدن، كُنـوز فعـلًا بـكل معنـى الكلمـة، مِنهـا مُرافعـة الأسـتاذ المُحامـي والنائـب مُحْسِـن سْـليم، رَحِمَـهُ اللـه، زوج سـلمى ووالـد رشـا ولقمـان، مرافعتُـه قـدّام المحكمـة، المجلـس العدلـي، فـي قضيـة اغتيـال الصحفـي الكبيـر كامـل مـروّة عـام ١٩٦٦، أيّـام كان فـي مَحاكِـم لبنانيـة يُحاكَـم فيهـا المجرمـون والقَتَلَـة، مرافعـة معمّقـة ومفصّلـة بتشـرح القصـة كلهـا مـن أولهـا لآخرهـا، واسـتفدنا مِنهـا كثيـرًا. فأشـكر السـيّدتَين جزيـلًا.

ثانيًـا، فضـلًا عـن ذلـك، صـاروا عـم يشـتغلوا الآن مـع باقـي الفريـق بـدار الجديـد علـى ترجمـة الكتـاب للعربـي، أو إعادَتِـهِ إلـى لُغَتِـهِ حسـب تعبيـر رشـا، فتَرَقّبـوا أيهـا القـرّاء، عمّـا قليـل، صـدورَ الكتـاب بلسـان الضـاد، بدكـن كلكـن تشـتروه، مـش كرمالـي أنـا، كرمـال رشـا وسـلمى وأعضـاء الفريـق جميعًـا يلـي، عـن جـد، بـدون مـزح وبـلا أي مبالغـة، صَنَعـوا المسـتحيل بهـل فتـرة وأنجـزوا الترجمـة تحـت جحيـم النيـران الإسـرائيلية والغـارات اليوميـة التـي لـم تَرْحَـمْ مبنـى الـدار نفسَـه، وفَرَضَـتْ عليهـم أسـوأ وأصعـب الظـروف مـا بيـن الدمـار والنـزوح والرُعـب والفوضـى والجنـون، واللـه العظيـم مـا بعـرف كيـف قدرتـوا تعملوهـا، وبظـنّ أقَـلّ مـا يقـال لكـم اليـوم هـو مليـون شُـكْر وتَحيّـة وسـلام.

أمّـا بالنسـبة للجائـزة هـذه أو الغـار هـذا، فطبعًـا شـرف كتيـر كبيـر، شـرف أكيـد أكبـر مـن أن يسـتحقه العبـد الفقيـر، أن أُكَـرَّم باسـم الصديـق والرفيـق لقمـان، الـذي كان وسـيبقى عنوانًـا للشـجاعة، الفكريـة كمـا الجسـدية، ورمـزًا لحريـة الـرأي والتفكيـر المسـتقلّ، لِحَـقّ النقـد والاختـلاف، سِـلميًّا وصراحـةً، لمواجهـة السـيف بالـكلام، والكـذب بالحقيقـة، والظـلام وخَفافيشِـه بشـمع التنويـر، وصرامـةِ الطاغيـة العابـس بضحكـة الثائـر. ورمـزًا أيضًـا للبحـث والتوثيـق، لجَمْـعِ الأدلـة والمعلومـات، لصَـون الذاكـرة مهمـا كانـت مؤلمـة أو مُحرجـة. ورمـزًا كذلـك للثقافـة والأدب والنَشْـر، للمَـرَح بعيـن الخطـر، والفُكاهـة بعِـزّ الكارثـة.

فعلًا مش قليل أن الواحد يُشَرَّف باسم صاحِب كل هذه الخِصال.

لكـن لقمـان ليـس رمـزًا فحسـب وإنمـا هـو قضيـة. وقضيـة لقمـان تعنـي، فيمـا تعنـي، فَضْـحَ المسـؤولين عـن الظلـم ومُحاسَـبتَهم. اليـوم، وكل يـوم، مِـن حَقّنـا أن نُجـدّدَ السـؤال: أيـن التحقيـق فـي جريمـة اغتيـال لقمـان سـليم؟ وينـو؟

شو صار فيه؟ هل يُصَدّقُ عاقِلٌ مُرور أربع سنوات بدون أي نتيجة؟ وهل من المنطقي تسكير الملف مِن قِبَل القضاء، كما تَداوَلَ في الصُحُف منذ أيام، بدون استجواب أكثر من ثلاثة أشخاص؟ شو التفسير؟ هل هناك مَن يعرقل؟ طيب مَن هو، أو هي، أو هُم؟ ألا يمكن التغلُّب على هذه العرقلة، وقد تغيرتْ أمور كثيرة بالمناخ في الآونة الأخيرة؟ أسئلة برسم المعنيين، ومَن يدّعي اليوم أن ساعةَ الدّولة قد حانت.

إلّا أنَّ قضية لقمان أكبر من أن تقتصر على شخص. نحن ـ أصدقاء لقمان وزملاؤه وتلاميذُه وكل مَن يُقدِّر نِضالَهُ وإرثَه ـ نحن حين نطالبُ بالعدالة له نطالبُ بها أيضًا لغيره: لضحايا المرفأ، لضحايا الحرب والإجرام الإسرائيلي السافر في لبنان كما في فلسطين، لضحايا نظام صيدنايا وتَدْمُر، نظام السارين والبراميل، نظام الجُوع أو الرُكوع، نظام التعذيب والتهجير، والمَقابر الجُماعية، نظام الجَماجم والعِظام، الذي أباد مئات الآلاف من الأبرياء وغيّبَ عشرات آلاف آخرين لا يزالُ مصيرُهم مجهولًا لليوم. لضحايا مَحاور المتفجرات وكواتم الصّوت، لا سيما في لبنان، من أيام كامل مروة إلى زمن لقمان. لضحايا الوِصاية والوِلاية، والاحتلال والاستبداد بكل أشكالِها وألوانِها. لضَحايا كل القادة المُخَلَّدين والزعماء المُؤَلَّهين النَصّابين التافهين، شرقًا وغربًا، عَرَبًا وعَجَمًا، ومِن كل أمّةٍ مِن الأُمَم، ها هي قضية لقمان سليم، ونعم، الطريق طويل، لكن ما أطيب السير عليه مع أمثال لقمان بَوْصَلَةً وأمثالكم أنتم رِفاقًا. شكرًا.